الأهرام
١٩٩٨/٥/٢٤

رسالتان

جاء تنى الرسالة التالية من المهندس توحيد رامى، ابن الشاعر الكبير أحمد رامى. أراد بها أن يرد على ما ظهر فى هذه الصفحة من حديث عن أم كلثوم ورامى فى ثلاث مناسبات وإحداها المقال الأخير الذى لفت نظر المهندس توحيد رامى فأراد أن يعلق عليه.

وقد أسعدنى أن ما جاء فى رسالة المهندس توحيد رامى يؤيد كل ما قلته عن طبيعة العلاقات بين رامى وأم كلثوم، وما جزمت به حين قلت إن رامى هو الذى رفض أن تتحول علاقته بأم كلثوم من حب منسوب إلى زواج، رفض هذا دفاعا عن شعره، وعن حبه وعن صورة المرأة التى خلقها عن أم كلثوم. وقد رأى المهندس توحيد رامى فى هذه العلاقة ما يشبه علاقة المثال الإغريقى القديم بيجماليون بالمرأة التى صنع لها تمثالا ثم وقع فى غرامه حتى لم يعد يطيق عنها بعدا.

بقلم:

د. على الراعى

واسم المرأة هو «جالاتيا». وتروى الأسطورة أنه بعد أن ضاق ذرعا بعبادة المرأة الحجر صلى للآلهة كى تنفث فى التمثال الحياة فاستجابت الآلهة لطلبه، وانتفض الحجر الجميل بالدماء الحارة والحياة الفياضة، ومن ثم تزوج العاشقان. أما رامى فقد اثر أن يقف عند مرحلة التمثال الجميل، وخشى ان هو تزوج تمثاله فبعثت فيه الحياة، أن ينتهى الحب والجمال والشعر والغناء معا وقد شاء المهندس توحيد رامى أن ينسب إلى احمد رامى كل الفضل فى الرقى بأم كلثوم إلى مستواه الثقافى بحيث تصبح قروية طماى «الزهايرة» جديرة بلقاء الملوك والأمراء. وجزء كبير من هذا القول صحيح. ولكن من الإنصاف الا نغفل قدرة أم كلثوم الفائقة على التعلم، ورغبتها الملحة فى ان تستجيب للمؤثرات الثقافية والفنية والاجتماعية فى المجتمع الذى انتقلت إليه والحافل بكل عوامل الهدم والبناء معا. وقد شاءت حصافة أم كلثوم ان تغفل جوانب السلب فى قاهرة العشرينات حتى الخمسينات، وتحتفظ بوضع الفنانة المرموقة التى تحترم نفسها وتناى بنفسها عن المباذل، وهو ما كان يفعله غيرها من فنانين وفنانات معا. من أجل هذا تسابق الكل إلى صحبتها، وعرض احد امراء البيت المالك ان يتزوجها، وسعى فاروق إلى الإفادة من مكانتها الفنية والاجتماعية العالية لمغايظة حزب الوفد. حزب الأغلبية الذى كان دائم التصدى لطغيانه. وفى إحدى هذه المحاولات تورط فاروق فى إهداء نيشان الكمال للفنانة الكبيرة، مما كان يتيح لها ان تنادى «بحضرة صاحبة العصمة». وقد جر هذا التورط المتاعب على فاروق وبطانته وثارت سيدات الأسرة المالكة مما دفع فاروق إلى اختراع نيشان لم يكن له وجود أصلا وسماه: نيشان الكمال من الدرجة الثالثة! وهكذا ظلت فلاحة طماى الزهايرة فى المكان الذى تستحقه فى نظر المتغطرسين. والآن أنشر رسالة المهندس توحيد رامى:

عزيزى الأستاذ الدكتور/ على الراعى

تحية طيبة وبعد...

اسعدنى ان اقرأ مقالك فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٨/٤/٢٦ وعنوانه «أم كلثوم ورامى حديث لا ينتهى».

وحيث ان المقال يتحدث عن والدى الشاعر احمد رامى رأيت أن انكر بعض الحقائق التى سمعتها من والدى نفسه. وكذلك ان أضيف إليها بعض الحقائق عن قصة احمد رامى وام كلثوم التى طال فى الأيام الأخيرة الخوض فيها بمناسبة إنتاج مسلسل وفيلم عن حياة أم كلثوم وبالطبع لا يمكن الحديث عن أم كلثوم بدون ذكر احمد رامى الذى رعاها لمدة تقرب من خمسين عاما.

وسابدا القصة من سنة ١٩٢٤ وهى السنة التى قابل فيها احمد رامى أم كلثوم لأول مرة. وستعرف من كان احمد رامى ومن كانت أم كلثوم فى تلك الوقت.

فى ذلك العام كان أحمد رامى قد عاد من باريس التى أوفد إليها من قبل الحكومة المصرية لدراسة فن المكتبات وقد استغل فرصة وجوده فى باريس ليدرس اللغة الفارسية فى مدرسة اللغات الشرقية فى جامعة السوربون.

كان احمد رامى فى هذا الوقت فى عنفوان الشباب وبلغ من العمر ٣٢ عاما. وكان قد اصدر قبل سفره إلى باريس ثلاثة دواوين كتب مقدماتها امير الشعراء احمد شوقى وشاعر النيل حافظ إبراهيم. ثم اصدر فى العام نفسه ترجمته لرباعيات الخيام، فظما عن الفارسية كان هذا أحمد رامى فى عام ١٩٢٤.

والآن لنرى من كانت ام كلثوم. كانت فتاة من ريف دلتا مصر لم تخرج منه إلا إلى القاهرة.. وكان كل تعليمها فى الكتاب المصرى. وأظن أن الدراسة فى الكتاب ومازالت دراسة دينية.. لتحفيظ القرآن وربما تعليم مبادئ القراءة والكتابة.

التقى أحمد رامى بام كلثوم ووجدها تغنى له قصيدة «الصب تفضحه عيونه» التى كان قد أعطاها للشيخ ابو العلا محمد ومن هنا بدات العلاقة بين احمد رامى وام كلثوم. حيث استشف احمد رامى فى صوت أم كلثوم قدراته التى نعرفها جميعا.

وبدات رحلة الخمسين عاما بين احمد رامى وأم كلثوم.

كان على احمد رامى فى أول الرحلة ان يرفع أم كلثوم إلى مستواه الثقافى والأدبى والاجتماعى وقد فعل. فصنع من قروية طماى الزهايرة سيدة يسعد بلقائها الملوك والرؤساء وعلمها لتغنى لأحمد شوقى وحافظ إبراهيم وأبى فراس الحمدانى وان تفهم معنى «ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم» واصبحت ام كلثوم لاحمد رامى عروسا لخياله يسعده ان يراها تنضج يوما بعد يوم.

وفى الوقت نفسه وجد احمد رامى فى ام كلثوم وسيلة لنشر اشعاره وافكاره لتصل إلى الناس ككلمة مسموعة بدلا من مقروءة فى وقت كانت نسبة الأمية فى مصر تصل إلى اكثر من ٧٠٪ ولهذا السبب ايضا كتب احمد رامى افكاره واشعاره باللغة الدارجة ليفهمها الذين لا يجيدون اللغة العربية الفصحى فنزل إلى لغتهم ليرفعهم إلى معانيه السامية الرقيقة.

وهكذا كون احمد رامى وام كلثوم ثنائيا طور الأغنية ونشر الأدب الرفيع فى مصر وكان معهم ايضا كبار الملحنين.

الآن نعود إلى السبب الذى دعانى إلى ان اكتب إليك وهو الرسالة التى وصلتك ونشرتها فى مقالك واشير فيها إلى ان ام كلثوم رفضت ان تتزوج احمد رامى.. ولكن الحقيقة ان احمد رامى هو الذى لم يرغب فى ان يتزوج ام كلثوم، ليس لانها لا تحبه وليس لانه لم يحبها بل على العكس، لقد احب احمد رامى أم كلثوم كما قال فى إحدى اغانيه «الالى حبى انا عمره ما جاه على بال». والآن دعنى اكتب إليك كيف كان احمد رامى يحب اولا: احمد رامى كان يؤمن بان الحب يجب ان يكون حيا عذريا خالصا وإن زاد عن هذا انتهى الحب.

ثانيا: احمد رامى كان يحب من اجل ان يحب ومن كلماته «صبحت احب الحب من بعد عشق الحبيب».

ثالثا: كانت ام كلثوم هى ملهمته التى كتب فيها ولها كل ما كتبه من اغان وقصائد فإن كان تزوجها لانتهى حبه لها حسب فلسفته فى الحب وتوقف عن كتابة الشعر العاطفى الذى احب ان يكتبه.

ولقد سالته مرة لماذا لم تتزوج ام كلثوم يابابا؟ فاجاب بانه لو تزوجها لمنعها من الغناء لانه كرجل ولد فى القرن التاسع عشر كان يجب الا تظهر زوجته امام رجال آخرين غيره. ثم اضاف وسيكون هذا جرما فى حق الفن والغناء ان احرم العالم العربى من هذه الموهبة الفريدة، وحسنا انه لم يفعل.

هذه بعض اطراف قصة احمد رامى وام كلثوم حيث ان الحديث عنها لاينتهى.

ويجب ان نعلم انه لو لم يكن هناك احمد رامى لما كانت هناك ام كلثوم التى عرفناها سيدة للغناء العربى وكوكبا للشرق.

توحيد رامى احمد رامى

اما الرسالة الثانية فهى من الاديب النوبى صاحب التوقيع:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حبيب النوبة والنوبيين

الأستاذ الدكتور/ على الراعى

تحية إكبار وإعزاز على مقالكم الرائع.. «ادب النوبة: إنقاذ الحجر وترك البشر» وانتصاركم على اعداء النوبة وادبها من الحاقدين والمتشككين والمتميزين غيظا واهتمامكم العادل المنصف بابنائنا ابناء النوبة.. الجزء الغالى من مصر الذى يحتل ثلث مساحة مصر من اسوان حتى وادى حلفا ٣٥٠ كيلو مترا اى اكثر من المسافة بين الإسكندرية والقاهرة مرة ونصف المرة طولا.. وغربا: الغوبات والاف الافدنة من الأرض الصالحة للزراعة رابضة على اكبر خزان جوفى من المياه العذبة «الخزان الجوفى النوبى» وشرقا: مثلث حلايب شلاتين على البحر الأحمر بمساحة تزيد على مساحة الوجه البحرى باكمله.

كل هذه المساحات اهملت تماما فى العصور السابقة فقد كانت ارض النوبة منفى للمعتقلين السياسيين والمغضوب عليهم من موظفى الحكومة والدولة.

وخلال هذا القرن دفعت بلاد النوبة الضريبة وحدها ففى خلال السنوات الماثة الأخيرة ١٩٠٣ - ١٩١٨ - ١٩٣٢ تمت تعلية خزان اسوان لعدة مرات واضطر الأهالى إلى الارتفاع على قمم الجبال لكى يعيشوا قدر استطاعتهم ثم أخيرا الضربة القاضية فى سنة ١٩٦٤ عند إنشاء السد العالى الذى اتى على الحرث والزرع وعلى كل كبيرة وصغيرة من ارض وقرى النوبة.

كل تلك تقبله الأهالى بصدر رحب من اجل رفاهية امهم مصر.

ولقد هجر الاهالى إلى حيز ضيق جدا هى هضبة كوم امبو فى ارض لا تصلح للسكن ولا للزرع فقد تصدعت معظم بيوت التهجير ولايزال الاهالى والدولة يتحملون عبء إصلاح تلك المبانى البعيدة عن «البيت النوبى» المثالى المعروف وذلك فى حيز دائرى يبلغ ٥٠ كيلو مترا بعد ان كانوا يقطنون فى مساحة طولها ٣٥٠ كيلو مترا.

وردا على المتشككين فى ولاء النوبيين لأمهم مصر اقول: نحن النوبيين اهل وحدة ممتدة من ١٨٩٨ حينما كان الحكم للاستعمار الانجليزى وعند تحديد حدود مصر الجنوبية رفض النوبيون الانضمام إلى السودان وتمسكوا بمصريتهم ووحدتهم مع مصر.

كذلك فإن الشمال السودانى وضم اهل النوبة ابتداء من وادى حلفا حتى الخرطوم هم دعاة الوحدة مع مصر ومعظمهم القطاب بالحزب «الاتحادى» فضلا عن ان كثيرا من الكلمات النوبية مصرية قديمة كلفظ «امون» اى عين المياه و«نوت» ابن و«نوب» الذهب وعاداتنا فى الزواج والميلاد مرتبطة بالنيل وهى عادات وطقوس مصرية قديمة.

ونحن لا نطالب بتعديل تعويضات سنة ١٩٦٤ التى قدرت عند بناء السد بنفس تعويضات ١٩٣٢ وماقبلها ولكن نرجو من المسئولين أن نعامل وفقا لما اتبع مع مواطنينا فى بورسعيد والإسماعيلية والسويس الذين هاجروا وهم الذين بنت لهم الدولة مساكن فخمة وذلك بعد انتصارنا فى حرب اكتوبر ٧٣.

ونأمل من الدولة بعد ان فاض السد العالى بالخير والبركة والنماء بشمال الوادى وامن مصر وحماها من طغيان الفيضان ومن الجفاف الذى الم

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام
١٩٩٨/٥/٢٤

ببعض دول حوض النيل ان تعوض ابناء النوبة الذين عانوا الامرين خلال السنوات المائة الاخيرة وذلك من خلال «مشروع توشكي العظيم» بان تعود قرى النوبة من جديد وعلى امتداد الـ ٣٥٠ كيلو بعد ان تقام البنية الاساسية من طرق ومدارس ومستشفيات لتكون همزة الوصل بين مصر والسودان الشقيق بدلا من استحضار اناس من مجتمعات اخرى بعيدة عن منطقة النوبة ولتكن الأولوية لابناء النوبة.

دمتم لنا سندا وزخرا ومد الله في عمرك وزادك من فضله وكرمه.. امين.. امين.

المخلص

عبدالعزيز محمد عبده

رئيس اللجنة الثقافية

بجمعية سيوة والحدادين

ودار السلام النوبية بالإسكندرية

اضع هذه الرسالة المهمة تحت انظار المسئولين في وزارة الزراعة وعلى راسهم «الدكتور يوسف والي» المسئول الاول عن التنمية الزراعية، وصاحب الفضل في توسيع رقعة الأرض الخضراء في مصرنا الحبيبة. واضيف ان هذه هي ثاني رسالة تصلني من مواطنينا النوبيين الاعزاء، والرسالتان تفيضان بالشكوى من ظلم رأى مواطنونا هؤلاء انه قد لحق بهم. ومن دواعي العدل والحكمة السياسية معا ان ننظر بعيني الجد إلى كل الشكاوى ونعمل على رفع الظلم اني وجد وكيفما كان شكله. ذلك ان المتربصين بأمن بلدنا وسلامته وتكافل ابنائه يتلمسون كل وسيلة تقع لهم. واحيانا يبتكرون الوسائل ابتكارا. لإشاعة الفرقة بين ابناء البلد الواحد: مسلمين كانوا، أم اقباطا، أم نوبيين. وانا اعلم ان الانظار تتجه إلى النوبة واهلها قصد استقطابها واستغلال الجميع كمعول هدم. وقد بذلت بالفعل محاولات في هذا السبيل لم تنجح حتى الآن بفضل الشعور العميق والمترسب عند النوبيين بأنهم وسكان الشمال اهل وذو قربى، وهذا ما يعكسه ادبهم بكل وضوح، فإلى جانب الشكوى والتذمر والتململ من الظلم يقدم شعورا واضحا بالمحبة لاهل الشمال والرغبة في أن تكون للنوبيين بعض المزايا التي يتمتع بها سكان الشمال. وفي رواية «منقلة» للأديب النوبي إدريس علي يكتشف البطل بعد ان يستبد به الغضب لما سلفت الإشارة إليه من ظلم. إنه هو واهل الشمال ضحية من ضحايا الظلم، وان المواجهة ينبغي ان تكون بين الجنوب والشمال بل بينهما جميعا وعوامل التفرقة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

إنني اكتب هذه الكلمات بشعور ينبع من اهمية المشكلة بالنسبة لبلادنا، وهي مشكلة تمس المصلحة القومية العامة في اوضح صورة. كما ان هذه المشكلة تتخذ بعدا جديدا وخطيرا، في ضوء ما قام به مجلس النواب الامريكي اخيرا من تدخل فظ ووقح في الشئون الداخلية للبلاد الاجنبية بدعوى حماية الاقليات فيها من الاضطهاد الديني. وهو تدخل اعاد إلى الاذهان ذكرى تدخل فاشم مشابه لما قام به الاستعماريون الإنجليز عندما اصدروا تصريح ٢٦ فبراير وجعلوا انفسهم فيه حماة للاقليات. وقضوا بالطبع اقباط مصر العظام.

إن مجلس النواب الامريكي هو اخر هيئة تستطيع ان تتحدث عن حماية الاقليات. وهو الذي يعقل كل ما من شانه ان يضطهد الاقليات، سواء في امريكا حيث التفرقة صارخة ودامية بين المواطن الامريكي الابيض وملايين السود، وملايين اخرى من الامريكيين المنحدرين من اصول اوروبية، فضلا عن الاضطهاد الدائم للمسلمين الامريكيين، المضيق عليهم في دور العبادة وفي الشوارع والذين يسارع الإعلام الامريكي الحاقد إلى إلحاق كل نقيصة بهم، كلما ارتكبت جريمة ما. إذ ذاك يرتفع نباح البراق «المنيا» جميعا بنسبة الجريمة إلى العرب والمسلمين، فإذا تبين - فيما بعد - كذب هذا الادعاء، لم يصدر اعتذار ولا حتى مجرد تنويه. وطوال الوقت تقوم السينما الامريكية بتشويه صورة العرب والمسلمين. وتستخدم في هذا الافلام العارية وافلام الكارتون وغير ذلك من وسائل.

لقد وجد ٣٧٥ من اعضاء ذلك المجلس غير الموقر من واجبهم ان يصوتوا مع قانون الاضطهاد الديني المشبوه، بينما عارضه ٤١ عضوا فقط. ومعنى هذا ان المجلس ومن يقفون معه او وراءه او امامه عاقدون العزم على إثارة الفرقة وزعزعة الاستقرار كلما اتيحت لهم الفرصة، وأينما اتيحت.

من أجل هذا قلت إن شكوى اهل النوبة من ظلم يرون انه قد لحق بهم ينبغي ان تؤخذ مأخذ الجد، وان تفحص بعناية وان يوضع لاهلنا النوبيين ما قامت به الدولة من جهد لتحسين اوضاعهم، وما تقوم به من ازالة العقبات امام هذا الجهد إن وجدت هذه العقبات وفي كل الاحوال ارى من المهم بحث اقتراح إسكان النوبيين في الأرض الزراعية التي سوف يتيحها تنفيذ مشروع توشكي، فهذا ولاشك، بعض من حقهم.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية